Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلّية لله تعالى ، ويمنع التّعمّق في إيراد المعارضات والمناقضات . وما ذاك إلاّ للعلم بأنّ العقول البشرية تتلاشى وتضمحلّ في تلك المضايق العميقة ، والمناهج الخفية .

فلهذا أقول : كلّ ما ثبت بالدّلائل الظّاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشّركاء في القدم والأزلية ، والتّدبير ، والفعالية ، فذاك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى به . وأمّا ما انتهى الأمر فيه إلى الدّقّة والغموض فكلّ ما ورد في القرآن والأخبار الصّحيحة المتّفق بين الأئمّة المتّبعين للمعنى الواحد فهو كما هو ؛ والذي لم يكن كذلك أقول : يا إله العالمين إنّي أرى الخلق مطبقين على أنّك أكرم الأكرمين ، وأرحم الرّاحمين . . . .

وأقول : ديني متابعة محمّد سيّد المرسلين ، وكتابي هو القرآن العظيم ، وتعويلي في طلب الدّين عليها . . . وأمّا الكتب العلمية التي صنّفتها أو استكثرت من إيراد السّؤالات على المتقدّمين فيها ، فمَنْ نظر في شيء منها ، فإن طابت له تلك السّؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التّفضيل والإنعام ، وإلاّ فليحذف القول السّيّء ؛ فإنّي ما أردت إلاّ تكثير البحث ، وتشحيذ الخاطر ، والاعتماد في الكلّ على الله تعالى . . . .»[1] .

ثمّ هو – من ناحية أخرى – يعتبر أنّ كلّ ما قام به من بحث فكري على مرّ السّنين ، لا طائل من ورائه ، ولم يكن إلاّ هباء منثورًا . فهو ينشد في أبيات له :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
فأرواحنا في عقلة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

---

1 ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء : 476–477 ؛ والصّفدي ، الوافي بالوفيات : 4/250–251 .